

الفصل الأول

تعريف الحساسية:

كثير من الناس يشكو من الحساسية إذا حك جلده، أو عطس بعد استنشاق روائح قوية، أو إذا ظهرت على الجلد بثور حمراء حتى ولو لم تسبب حكة.

تُعرّف الحساسية بأنها ردة فعل مناعية غير عادية لأشياء لا تؤثر عادة على الأشخاص غير المصابين، ونتيجة لذلك فإن الأشخاص المصابين بالحساسية تظهر عليهم علامات الحساسية بعد التعرض لهذه المواد الموجودة في البيئة، مثل: بعض الأطعمة والغبار وبعض العلاجات، أو الحيوانات أو حبوب لقاح بعض النباتات التي لا تؤثر على الناس العاديين. وهذه تسمى مُحَسَّسات أو (الليرجينز). والسبب في ظهور هذه الأعراض هو أن هؤلاء الأشخاص يكونون أجساماً مضادة خاصة تسمى (آي، جي، إي، IGE) عندما يدخل العامل المسبب للحساسية، مثل حبوب اللقاح مثلاً، إلى الجسم. ونتيجة لتفاعل هذه الأجسام المضادة مع الأشياء المسببة للحساسية تفرز خلايا خاصة في الجسم هرمونات وخمائر مثل: الهستامين تتسبب في أعراض الحساسية المعروفة مثل: احمرار العينين، والعطاس والزكام، وضيق النفس أو الحكة الشديدة والأعراض الأخرى المعروفة.



ولكن ليست كل أعراض الحساسية مسببة عن تكوين أجسام مضادة (آي. جي. إي) بل هناك أنواع من الحساسية ينتج عنها أجسام مضادة أخرى، وأحياناً لا تكون مصحوبة بتكوين أجسام مضادة معروفة. وهذا النوع من الحساسية يسمى حساسية طبيعية أو حساسية غير مناعية. ومثال ذلك الأشخاص الذين يعانون من أعراض الحساسية بعد التعرض للروائح القوية مثل: الدخان، وبخاخات المبيدات الحشرية وبعض العطور... إلخ. وهذه تسمى مهيجات وليست محسسات (الليرجينز) ويجب ألا تنسى أن الأشخاص المصابين بالحساسية المناعية يعانون أيضاً من هذه الروائح.

ومن أهم العناصر المسببة للحساسية هي غبار طلع (لقاح) النباتات وغبار البيت والأثاث وحشرة غبار المنزل، وشعور الحيوانات الأخرى الأليفة مثل القطط (الهرر) والأرانب، والكلاب والخيول، وريش الطيور، وأنواع الفطريات (العضن) المختلفة، وكذلك أنواع الأطعمة مثل البيض والأسماك والحليب، والمكسرات، مثل: الجوز والبندق.. إلخ كذلك فإن بعض الأدوية مثل: البنسلين، وبعض الحشرات مثل: النحل والدبور والنمل قد يسبب حساسية شديدة قد تؤدي إلى الوفاة أحياناً.

أهمية الحساسية بالنسبة للصحة العامة:

تعد أمراض الحساسية من أكثر الأمراض المزمنة شيوعاً. وترجع أهمية الحساسية الصحية والنفسية والاقتصادية إلى أنها تصيب



الإنسان في الأربعين سنة الأولى من الحياة، وهذا هو السن الذي يكون فيه الإنسان أكثر إنتاجية في تحصيل العلم والعمل. ويعد الربو أكثر شيوعاً في الأطفال منه في البالغين، ففي إحدى الدراسات بلغ عدد الأطفال المصابين بالربو الشعبي حوالي ١٢٪ من الأطفال دون سن الخامسة عشرة. أما بالنسبة للحساسية بشكل عام فهي تبلغ حوالي ١٠٪ من مجموع السكان، وعلى كل حال فإن هذه النسبة تختلف من مكان إلى آخر. وهناك مؤشرات على أنها في ازدياد.

بعض حالات الربو الشديد تتطلب عناية طبية مستمرة أو على فترات متقاربة، وقد يلزم تنويم المصاب في المستشفيات في الحالات الشديدة، ولكون أمراض الحساسية أمراضاً مزمنة فإنها تلقي عبئاً كبيراً على المصابين بها وعلى أسرهم لما يتطلب ذلك من العناية والسهر أحياناً والتكلفة المادية، بالإضافة إلى تأثيرها النفسي على الإنسان المصاب وعلى الأسرة.

وتعد أمراض الحساسية من أكثر الأمراض المزمنة التي تتسبب في تغيب الطلاب عن المدارس والبالغين في التغيب عن أعمالهم. وتشكل أمراض الحساسية ومضاعفاتها السبب الأول لزيارات عيادات الأطباء والمستشفيات للعلاج، من الأمراض المزمنة.

وبما أن أمراض الحساسية وخاصة حساسية القصبات (الربو) هي أمراض مزمنة فإن المرضى كثيراً ما يقعون ضحية المشعوذين أو



ما يعرفون بأطباء العلاج الشعبي في بعض البلاد العربية، مما يتسبب عنه إعطاء علاج ضار أو استعمال طريقة لا جدوى منها مثل: الكوي على العنق وعلى الصدر والظهر، مما يسبب مضاعفات ويؤخر إعطاء العلاج المناسب من قبل طبيب مختص.

وتأثير الحساسية وخاصة الربو الشعبي على الإنسان ونوعيتها له أهمية لا يعرفها إلا من يعاني منها، فبعض الأحيان يتطلب الأمر أخذ العلاج يومياً، وأحياناً كثيرة يضطر الشخص المصاب التقيد بنظام معين من الحياة وتحديد العمل في بيئة خاصة ليتجنب التعرض لمسببات الحساسية، مما يؤثر على علاقة الأسرة بشكل خاص والعلاقات الاجتماعية بشكل عام؛ فمثلاً مَهَنًا يعاني من حساسية القصبات الشديدة، ويتأثر بالغبار وبرائحة الأعشاب والأزهار في البساتين والحدائق، وكلما خرج مع أسرته يصاب بأزمة حادة يستلزم العلاج في المستشفى، مما يضطر الأسرة كلها لإلغاء نشاطها والعودة إلى البيت. ونتيجة لذلك فإن أسرة مَهَنًا نادراً ما تخرج من البيت حتى لا يصاب بتلك النوبات الشديدة. فواضح من هذا المثال أن المريض حدد من نشاط أسرته المعتاد؛ ولهذا الأثر الكبير في نفس المريض وأسرته.

أما منيرة فهي طفلة في الرابعة من عمرها تعاني من حساسية شديدة للبر (الحنطة، القمح). فهي كلما أكلت خبزاً أو فطائر أو أي



شيء يحتوي على البر تصاب بمفص وإسهال مع حساسية في الجلد؛ ولمنع حدوث هذه النوبات فإن الأسرة بأكملها يجب أن تمتع عن أي طعام يحتوي على البر؛ لأن منيرة طفلة لا تقتنع أن تحجب لوحدها دون بقية أفراد الأسرة؛ فالملاحظ أن مرض فرد من العائلة تسبب في تغيير نمط حياة الأسرة بأكملها.

أما علي فهو شاب في الخامسة والثلاثين مصاب بربو شعبي شديد، يعيش مع أسرته في بيته الذي بناه منذ ثلاث سنوات وموظف براتب جيد في إحدى الشركات. وبالنظر لشدة حساسيته في بيئته الحالية وتحسنه الكبير حينما ينتقل إلى بلدة أخرى نصحه طبيبه بالانتقال إلى مكان آخر يكون أقل تأثيراً على حساسيته؛ مما اضطرَّ علياً إلى الاستقالة، وبيع بيته، حرصاً منه على صحته والانتقال إلى البيئة الجديدة.

الأمثلة السابقة ما هي إلا عدد قليل للتدليل على تأثير الحساسية على حياة المصاب الاجتماعية والاقتصادية والنفسية؛ ولهذا فإن فهم الحساسية، كيف تحدث، ما هي أسبابها وكيفية الوقاية منها وعلاجها أمر مهم من أجل تحسين الصحة العامة ومن أجل حياة طبيعية ومستقرة للفرد وللأسرة وللمجتمع. وهذا ما سأبحثه في الفصول اللاحقة من هذا الكتاب مع لمحة عن كيفية بدء علم الحساسية وتطورها إلى اختصاص طبي يعد من أحدث فروع الطب المعروفة.